مسارات الإبلاغ الحِجَاجيّ في الخطاب الشّعريّ
لأبي طالب(عليه السلام) (اللاميّة) مثالاً

م. د. آلاء علي عبد الله العنبكي
قسم اللغة العربية / كلية الإمام الكاظم ــ عليه السلام ــ للعلوم الإسلامية الجامعة
alaaali@alkadhum-col.edu.iq

Argumentative Reporting Paths in Poetic Speech of Abi Talib
(Peace be upon him)
The Lamiyah as a Choice

Inst. Alaa Ali Abdullah AlAnbagi, PhD
Department of Arabic, Imam Al-Kadhum (PBUH) University College for Islamic Sciences
Email: alaaali@alkadhum-col.edu.iq

تاريخ الاستلام : ٢٠٢٠/٢/١٠

تاريخ القبــول : ٢٠٢٠/٥/١٠

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

المستخلّص

الشراكة في المعارف البانية، سمة عصرية أضحت محمودة بعد التطور الأنساقي السريع الذي عكس المرونة الواسعة للتشكيلات المعرفية. ونحن إذ نقف على نصّ شــعريّ تراثــيّ، ونأخذ نظرية مهمة ذات ثقل حداثي لنلامس بها النصّ ونناقشه، فإننا بذلك نقوم بعملية الشراكة المذكورة تلك.

تأخذ هذه الدراسة بنص لامية أبي طالب عليه السلام عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتعرضه على المنهج الحجاجي فيتعاطى معه بآلياته المتمثلة بالسـلّم الحجـاجي، والروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية ، ليستخرج ما تكدّس في خطابه من شحنات حجاجية حاول الشاعر توجيهها صوب المتقبّل المتلقي ليعدّل في وجهته أو يغيرها ، من خلال التــأثير في قناعاته ومفاهيمه .

فجاءت هذه الدراسة الموسومة بـــ" مسارات الابلاغ الحجاجي في الخطاب الشــعري لأبي طالب عليه السلام " اللامية (مثالاً) مقسّمة على مقدمة ومفصلين ؛ نظــري، وإجرائي، وخاتمة ومظان البحث. لتقرّب بين: نصّ تراثيّ ونظرية حداثيّة من جهة، والخطاب الشعريّ والنظرية الحجاجية من جهة أخرى. والله تعالى ولي التوفيق .

الكلمات المفتاحية: الإبلاغ الحِجاجي، الخطاب الشعري، أبو طالب، اللاميّة.

Abstract

Partnership in constructive knowledge is a fashionable feature that becomes commendable after the rapid coordinative development which reflected the broad flexibility of cognitive formations. As we stop on a heritage poetic text, and take an important theory of modern importance to touch its text and inspect it, then we are practicing the previously mentioned partnership.

This study takes with the text of the Lamiyah of Abi Talib (PBUH), the prophet's uncle (PBUH and his fellow people) and imposes it into the argumentative approach in order to deal with it (the text) using the approach's tools represented by the argumentative scale and the argumentative links and factors, to extract the argumentative charges jammed inside its speech, that the poet attempted to steer it towards the accepting receiver in order to change or fix his/her direction by affecting his/ her convictions and concepts.

This Study, entitled:" Argumentative Reporting Paths in Poetic Speech of Abi Talib (Peace be upon him) The Lamiyah as a Choice" is divided into an introduction and two parts: theoretical and procedural in addition to a conclusion and search terms, to make close to each other, the heritage text and a modern theory from one side, and the poetic speech and the argumentative theory from the other side. God Almighty is the guardian of success.

Keywords: Argumentative reporting, poetic speech, Abu Talib, The Lamiyah

المقدّمة

التوليف بين المعارف البانية لأي دراسة، إنما هو نمط حداثي من شأنه أن يغني الدراسة ويضفي عليها روح التجدد والمغايرة والاختلاف، ويضيف إليها رونقاً ملؤه التنوع والتوقع لكل جديد، وخصوصاً إذا كانت هذه المعارف تنتمي إلى عصرين مختلفين متباعدين؛ التراث والمعاصرة.

إنّ هذه الدراسة الموسومة بـ" مسارات الابلاغ الحجاجي في الخطاب الشعري لأبي طالب عليه السلام اللامية (مثالاً)، تحاول قراءة النص التراثي بمنظار حديث، يجلّي جمالياته، ويكشف عن مكامن درره، ويفكك شفراته؛ لتبدو للمطّلع حقيقة ذلك النص وقيمته ومكامن قوته إذا علمنا أنّ النص– موضوع الدراسة – من الشعر العربي الذي اضطلع بالكثير من المواقف والأخبار المتعلقة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي تعود إلى ما قبل البعثة، فَشِعرُ أبي طالب عليه السلام يحكي معظم الأحداث والأخبار والمحن التي تعرض لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم آنذاك؛ وذكر الضغوط التي تعرض لها من قبل المشركين، ومواقف بعض رجالات العرب من دعوته، إذ جاء شعره متنوعاً بين الفخر ببني هاشم، والدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والدعوة إلى مساندته وإبداء العون له (التونجي، ١٩٩٤، ص٦)(Al–Tunji ،1994:16).

وقد وقع الاختيار على الحِجَاج Argumentation ؛ بوصفه منهجًا حيويّا لا يكاد يخلو نص منه ، فاللغة كلها حجاج و"الحجاج يوجد حيث ما وُجدتْ اللغة" (الشهري، ٢٠٠٤، ص ٤٥٢) (Al–Shehri 2004:452) – حسب ديكرو O.Ducrot – ، فضلاً عن أنّ الحجاج منهج وطريقة وسلوك متداول لا نكاد نستغني عنه، فهو يعضد الخطاب ويسنده، ويجعله أقرب وصولاً وإقناعًا للمخاطب بما يمتلكه من آليات وسبل إقناعية من شأنها أن تلج إلى ضمير المتقبل ووجدانه ناهيك عن عقله، وهو ما يخدم موضوع نص الدراسة الذي يحاول فيه الشاعر وضع استراتيجية خطابية لإقناع المتقبّلين بموقفه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد وقع الاختيار على أنموذج شعري على الرغم من أنّ الحجاج يتجلى في الخطابة أكثر؛ لأنّ المرسل ــ بطبيعة الحال ــ لا يقصر حجاجه على المستوى النثري ، بل يمكن أن ينتج

شعراً ، ومن ثم حجاجاً؛ فالشعر خطاب إذا ما توفّرت فيه سمات الخطاب، "والخطاب، أياً كان نوعه، تكون له وظائف محايدة ومتنوعة: وظيفة إخبارية وإعلامية، ووظيفة جمالية، ووظيفة تفاعليّة، ووظيفة حجاجية إقناعيّة، ووظيفة إيديولوجية... وغير ذلك" (العزاوي، ٢٠٠٦، ص١٩)(Al-Azzawi , 2006:19) . فالشعر دعوة صريحة إلى تغيير المواقف النفسية ومن ثم السلوك إزاء حدث ما يعقبه إعادة تقويم ذلك كله، ولذلك جاز عدّه ضرباً من الحجاج؛ لأنه في النهاية يستدعي مقولتي (التوجيه) و(التأثير).

وقد كان الدكتور أبو بكر العزاوي سبّاقاً إلى الخوض في تجربة الحجاج بالشعر في كتابه (الخطاب والحجاج) فيرى أنّ "أيّ نصّ شعري أو أدبي تكون له، إلى جانب الوظيفة الشعرية، وظائف أخرى مثل الوظيفة الانفعالية والوظيفة التوجيهية الإقناعية، والتي يعبّر عنها بالتعجب والندبة والاستغاثة والأمر والنداء أو بأسماء الأفعال والروابط التداولية الحجاجية.

إنّ النص الشعري إذن، ليس لعباً بالألفاظ فقط، وليس نقل تجربة فردية ذاتية فحسب، إنّه يهدف أيضًا "إلى الحث والتحريض والإقناع والحجاج. وهو يسعى إلى تغيير أفكار المتقبل ومعتقداته، وإلى دفعه إلى تغيير وضعيته وسلوكه ومواقفه" (العزاوي، ٢٠٠٦، ص٣٦-٣٧) (Al-Azzawi , 2006:36-37).

جاء البحث بمقدمة ومفصلين؛ فأمّا المفصل الأول؛ فكان نظرياً، جرى فيه تناول علاقة أبي طالب عليه السلام بالخطاب الشعري، وصلة الشعر بالحجاج. وأمّا المفصل الثاني؛ فكان إجرائياً، حاولنا فيه تطبيق مقولات نظرية الحجاج عند ديكرو كالسلّم الحجاجي، والأدوات الحجاجية التي جاءت بقسمين ؛ الروابط الحجاجية ، والعوامل الحجاجية ، وقد جاء ذلك كله مشفوعاً بتفصيلات وشواهد تترجم هذه المقولات. وخُتِمَ البحث بخاتمة تلتها مظان البحث ومصادره .

وختامًا، نأمل التوفيق في معالجتنا هذه التي تصب فيما صار يعرف بـ"التحليل اللساني للشعر" وسدّدنا في توظيف مفاهيم الحجاج وأدواته على هذه العينة المهمة من تراثنا الشعري الفذّ والحمد لله ربّ العالمين.

المفصل النّظريّ

- شعريّة أبي طالب عليه السلام .

قبل المضي في النظر في النصّ الشعريّ لأبي طالب عليه السلام لابدّ لنا من التعرّض بإيجاز لما انمازت به هذه الشخصية من سمات شكّلت سبباً لوقوع الاختيار عليها ليكون خطابها الشعري محطّ تأمّلنا ووقفتنا هذه.

كان أبو طالب عبد مناف (وقيل عمران) بنُ عبد المُطَّلب بن هاشم بن عبد مَناف الملقب بشيخ الأباطح وسيد قريش ورئيس مكة وشيبة الحمد... وغيرها من الألقاب (النقدي، ١٩٩٣، ص٧١-٧٣) (Al-Naqdi, 1993:71-73) . عمّ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، خطيباً مفوّهاً ، وشاعراً متفوقاً ؛ يحمل شعره من الفوائد الكثيرة ؛ يقول الإمام الصادق عليه السلام : " كان أمير المؤمنين علي عليه السلام يعجبه أن يُروى شعر أبي طالب وأن يُدوَّن ، وقال عليه السلام تعلّموه وعلّموه أولادكم فإنه كان على دين الله وفيه علم كثير" (الأميني، ١٩٦٧، ج٧، ص٣٩٣-٣٩٤). وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يوحي بأمرين اثنين ويؤكدهما:

الأول: إسلام أبي طالب وإيمانه؛ وتؤكد ذلك مرويات كثيرة ومواقف صريحة لأهل البيت عليهم السلام منها حينما سئل الامام الكاظم عليه السلام: أكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محجوجاً بأبي طالب؟ فأجاب عليه السلام: لا، ولكنه كان مستودعاً للوصايا، فدَفَعَها إليه (النقدي، ١٩٩٣، ص٩٦)(Al-Naqdi, 1993:96) ، فكيف يكون مستودع الوصايا الإلهية، والإرث المنبثق من وحدانية إبراهيم مشركاً، قد رانَ العصيان على قلبه! إذن؛ فكأن إسلام أبي طالب وإيمانه موافقا لهذه الرواية، وإنما يسأل السائل عما فوق الإيمان (الخنيزي، ١٩٢٥، ص ٢٦٣)(Al-Khunaizi, 1925:263).

الثاني: مكانة نظمه عليه السلام وعظمها في الشعر العربي؛ إذ إن شعره سجل حافلٌ بالعلم الغزير، والمعرفة بدين الله والأديان الأخرى (الخنيزي، ١٩٢٥، ص ٢٦٢) (Al-Khunaizi, 1925:262).

ويعضّد ابنُ سلام (ت ٢٣١ هـ) ما زعمناه بقوله: "وكان أبو طالب شاعراً جيد الكلام، وأبرع ما قال قصيدته التي مدح فيها النبي صلى الله عليه و[آله] وسلّم" (الجمحي، ج١، ص٢٤٤). ووصفه بأنّه من أبرع شعراء مكة شعراً (الجمحي، ج١، ص٢٣٣) (v1:223, Al-Jamihi) . ثم يأتي ابن كثير(ت ٧٧٤ ه) ليؤكد ما عضّده ابن سلام، ثم يعلّله، عندما علّق على لاميته التي نظمها في حصار الشعب: "هي قصيدة بليغة جداً ، لا يستطيع أن يقولها إلا من نُسبت إليه ، وهي أفحل من المعلقات السبع وأبلغ في تأدية المعنى " (ابن كثير، ج٣، ص٥٧)(V3:57, Ibn Kathir) على الرغم من أنه لم يكن شاعراً مشهوراً ؛ ومردّ ذلك – ربما – يعود إلى أنّ غايته من نظم الشعر لم تكن لأجل الذيوع والشهرة؛ " ولكنه كان إذا همّه أمر عبّر عنه شعراً . كما قد يعبّر عنها نثراً " (التونجي، ١٩٩٤، ص٦))(Al-Tunji 1994: 6،).

ونعطف الكلام على لاميته إذ جاءت جامعة شاملة لكل سجايا بني عبد المطلب ، وخصال النبي، وصفاته ، فتركت توقيعها في صفحات الأدب العربي ؛ إذ مثّلت مرجعاً تاريخياً لكثير من الأحداث والمواقف والأشخاص بأبياتها التي تجاوزت المائة ، فضلاً على كونها تحمل بين جنباتها رسائل تلوّح للمتلقي بعظمة المرسَل ، ونقاء أصله ، وأحقيته بالاتباع ، بالمقارنة مع غيره ، فكانت بمنزلة الاعلام الهادر لشخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته الخاتِمة ، وحرفاً من حروف أبجدية الاسلام (المدني، ٢٠١٧، ص١١)، فيه يكتمل المفهوم ، وبه يدرك المضمون فاستحقت بذلك أن تجاور وربما تتجاوز أخواتها المعلقات (البغدادي، ١٩٩٧، ج٢، ص٥٨)(1997,v2:58 Al-Baghdadi).

- الحجاج Argumentation والخطاب الشعريّ.

اللغة – تلك الإمكانة الفريدة التي أُختصّ بها الإنسان دون سائر الموجودات الأخرى – من أقوى وسائل الدفاع عن النفس وأكثرها سلمية؛ إذ هي ليست بسلاح، أو آلة مادية تشهر في وجه الآخر، وإنّما هي حروف بسكنات وحركات وإيقاعات صوتية تولّدها آلتها ؛ كيما توصل رسالة إلى الآخر ليحدث التواصل بين جنس البشر، ولكنها على الرغم من ذلك تعدّ أخطر آلة يُتعامل بها ؛ إذا ما علمنا أنها سلاح بحدين ؛ لما لها من إمكانات وادوات تؤهلها

للتحكم بالآخر وتغيير وجهته الفكرية أو تقويتها (الـــولي، ٢٠١٣، ص٦٢)(Al-Wali, 2013:62).

والحجاج هو أحد أقوى الأساليب اللغوية ، والتقنيات الكلامية التي تؤثر في ايديولوجيـــة المتقبِّل واعتقاده وثقافته ؛ فغاية الحجاج بالأساس تثبيت موقف ، أو تعديلـــه بـــآخر ، وبـــاثّ الخطاب الحجاجي يروم إقناع المتقبِّل أو اقتناعه بما يعرض عليه مـــن آراء ، فالحجـــاج : " مجموعة من الاستراتيجيات الخطابية التي يتوجه بها المُحاجج إلى متلق ما ، بُغيـــة إقناعـــه والتأثير فيه ، أو تعديل الحكم المكوِّن لديه عن الأطروحة محل الحجاج " (صـــبحي، ٢٠١٥، ص٢٧)(Sobhi, 2015:27).

ويرى ديكرو O. Ducrot أنّ اللغة تحمل في جوهرها طبيعة حجاجية تظهر في مستويات اللغة كلها وبناءً على هذا تكون اللغة عنده كلها حجاجاً (العزاوي، ٢٠٠٦، ص٨) (Al-Azzawi ., 2006:8) وهذا ينطبق على الشعر ؛ فليس صحيحاً ما يفهم أن الشعر مختص بالشعرية والجمال فقط ؛ فكونه مختص بهما لا ينفي اشتغاله حجاجياً ، ولا يلغي حمولته الحجاجية وما يقصد من قيم ودلالات يحاجج بها المتقبِّل ليصل به إلى برّ الاقناع أو الاقتناع (الولي، ٢٠١٣، ص٦٨)(Al-Wali, 2013:68) . ولنأخذ قول أبي طالب عليه السلام مطمئناً فيه ابن أخيه بعد ضغط قريش (العبدي، ص١٢-١٣) (Alabdi 12-13):

واللهِ لن يَصلوا إليكَ بجمعهم حتى أوسد في الترابِ دفينا

فانفذ لأمرك ما عليك غضاضة فكفى بنا دنياً لديك ودينا

ودعوتني وزعمت أنّك ناصح فلقد صدقت وكنت قبل أمينا

وعرضت ديناً قد علمت بأنه من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذاري سبة لوجدتني سمحاً بذاك ضنيناً

فعلاوة على ما في هذا المقطع من عاطفة متدفقة ، وحنان مستفيض ، تبرز لنـــا واجهـــة حجاجية لتثبت موقفاً طالما آمن به النبي صلى الله عليه وآله وسلم متمثلاً بصدق إيمان أبـــي طالب عليه السلام واخلاصه في دفاعه عنه حدّ الختام ، واعتقاده بدينه الذي جاء بـــه

دون أدنى ريب . فالعاطفة هنا انطوت على إشارات وأبعاد حجاجية ، مما أكسب الأبيات قوة حجاجية ؛ فالحجاج جزء من اللغة الطبيعية ذات الاستدلال الطبيعي المحتمِل ، لا لغة البرهنة والاستدلال الصوري الصارم الذي لا يقبل الشك أو الاحتمال " وبقدر ما يتقوى الجانب العقلي في الخطاب يقترب من البرهنة العلمية ، ويبتعد عن الحجاج بمعناه المحصور. وبقدر ما يتقوى الجانب العاطفي يقترب الخطاب من الحجاج وينأى عن البرهنة " (الولي، ٢٠١٣، ص٦٩)(Al-Wali, 2013:69) .

وقد أشار الأقدمون إلى ذلك ومنهم حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) عندما نوّه إلى القيمة الحجاجية للشعر بقوله إنّ : " التخييل هو قوام المعاني الشعرية والإقناع هو قوام المعاني الخطابية . واستعمال الإقناعات في الأقاويل الشعرية سائغ ، إذا كان ذلك على جهة الإلماع في الموضع بعد الموضع ، كما أنّ التخاييل سائغ استعمالها في الأقاويل الخطابية في الموضع بعد الموضع . وإنّما ساغ لكليهما أنْ يستعمل يسيراً فيما تتقوّم به الأخرى ، لأنّ الغرض في الصناعتين واحد ، وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحلّ القبول لتتأثر لمقتضاه . فكانت الصناعتان متآخيتين لأجل اتفاق المقصد والغرض فيهما . فلذلك ساغ للشاعر أنْ يخطب لكن في الأقل من كلامه ، وللخطيب أنْ يشعر لكن في الأقل من كلامه " (القرطاجني، ١٩٨٦، ص٣٦١)(Carthagi, 1986:361) .

وتفسير ذلك أنّ التخييل في الشعر يعني تجاوز الواقع إلى المجاز من جهة ، والابتعاد عن الإبهام واللغو من جهة أخرى ، وهذا يجعل من الخطاب مصدراً للغرابة والإغماض وهنا يلعب الإقناع دوره لما ينهض به الغموض من أبعاد حجاجية ، وهذا يعني أنّ الإقناع يعضد التخييل لتحقيق غاية الشعر ، كما أن التخييل يفعل ذلك لتحقيق غاية الخطابة . فحضور الإقناع في الشعر أمر ضروري ليحضر التأثّر بالشعر (الدريدي، ٢٠١١، ص٦٥)(Al-Dridi, 2011:65)، إذا علمنا " أنَّ مفهوم التخييل لا ينفي العقل ولا يقصي الشعر من دائرة المعقول وإن كان يوهم في الظاهر بخلاف ذلك لأنه يقتضي الإقناع ليتمّ التصديق فينشأ الخطاب مراوحاً بين الصدق والكذب وهذا يعني بوضوح أن الصدق لا ينفي التخييل والتخييل وحده لا يولّد الإذعان للقول الشعريّ " (الدريري، ٢٠١١، ص٦٦) (Al-Dridi, 2011:66).

بناءً على ما سبق؛ فالشعر يخرج إلى غايات حجاجية بوصفه جزءًا من اللغة، يهدف من وراء تلك الغايات إقناع المتقبّل ، أو التأثير فيه على أقلّ تقدير ، وفي الأحوال كلها يدعى (حجاجًا) إذا ما علمنا أننا " نتكلم عامة بقصد التأثير " (العزاوي،٢٠٠٦، ص١٤) (Al-Azzawi , 2006:14). والتأثير والتوجيه والتغيير من أولويات الحجاج ومراميه.

المفصل الإجرائي

(التمثّلات الحجاجيّة في اللاميّة)

اولاً : السُلّميّة الحجاجيّة:

يقتضي هذا الطرح وجود علاقات نصية في الخطاب تقوم على خاصية ترتيبية أو درجية تقتضي بدورها تلازماً بين الحجة والنتيجة التي قد يصرّح بها أو لا يصرّح . فالحجج تتباين فيما بينها من حيث القوة فهنالك الحجج القوية وهنالك الضعيفة وهنالك الأضعف (العزاوي ،٢٠٠٦، ص١٩)(Al-Azzawi , 2006:19) والسلم الحجاجي يقوم بالأساس على جملة من الحجج تنتمي لفئة (قسم) (العزاوي، ٢٠٠٦، ٢١)(Al-Azzawi , 2006:21) حجاجي محدد وتتدرج من حيث القوة من الأضعف إلى الأقوى . والمراد بـ" الفئة الحجاجية أو القسم الحجاجي" حسب ديكرو O. Ducrot : " إنّ المتكلم، في وضعية خطاب محدّدة، يمكن ان يضع ملفوظين في قسم حجاجي واحد يفضي إلى نتيجة "ن" بشرط ان يكون الملفوظان يقودان ويخدمان النتيجة نفسها (ن)" (الناجح،٢٠١١، ص١٣٠)(Al-Najih, 2011:130) . أي : أن يتنزّل قولان (أو أكثر) منزلة حجتين لبلوغ نتيجة ما ، بمعنى أن قولين (أو أكثر) يكونان من فئة (قسم) حجاجية واحدة إذا استهدفا النتيجة نفسها حجاجية محددة:

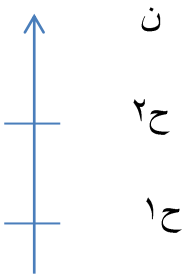

فـ(ح١) ترمز للحجة الأضعف، و (ح٢) ترمز للحجة الأقوى، و(ن) ترمز للنتيجة. ويحدُّ د. طه عبد الرحمن السُّلَّم الحجاجي بقوله: "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوَّدة بعلاقة

ترتيبية" (عبد الرحمن، ١٩٩٨، ص٢٧٧)(1998:277, Abdul Rahman) مشروطة بأمرين (عبد الرحمن، ١٩٩٨، ص٢٧٧)(1998:277, Abdul Rahman) :

١- إن كل قول / حجة يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة إلى نتيجة القول المراد الإقناع بها.

٢- إذا كان القول / الحجة (أ) يؤدي إلى (ن) فهذا يستلزم أن القول (ب) و(ج) اللذين يعلوان (أ) يؤديان للنتيجة نفسها ، والعكس غير صحيح . ولهذا السلم جملة من القوانين التي تحكمه أهمها (عبد الرحمن، ١٩٩٨، ص٢٧٧-٢٧٨)(1998:277-278, Abdul Rahman) : قانون النفي ، وقانون القلب ، وقانون الخفض .

افتتح أبو طالب عليه السلام قصيدته من غير استهلال ومقدمات كما كان معهودًا آنذاك ، ولعل تجاوزه لتلك التقاليد ينبئ عن رسالة إلى المحاجّ مفادها عظم الأمر وأهميته مما استدعى الإسراع والمباشرة في الولوج فيه ، وهي بمنزلة حجة يطرحها الباثّ أمام متلقيها كمنبّه أوّل على ضرورة التواصل مع البثّ الخطابيّ . فافتتح الشاعر قصيدته بقوله :

خَلِيلَيَّ ما أُذْنِي لأَوَّلِ عاذِلِ بِصَغْواءَ في حَقّ ولا عندَ باطِلِ

وهذا البيت يُفتتح بآلية حجاجية تتمثّل بالسلم الحجاجي (بصغواء في حقّ) و (بصغواء عند باطل) يراد منه (عدم الاستماع لما يقال) ، ويلاحظ أن الحجة الثانية أقوى من الأولى ؛ فعدم إصغائه للعاذل في الحق – ولو من وجهة نظر العاذل – ينتج بطبيعة الحال عدم إصغائه للعاذل في الباطل ، فشخصية مثل أبي طالب عليه السلام لا يصدر منها إلا الطيب في القول والاستماع ، ولا تستمع إلا إلى الحق . وربما المراد هنا من الحقّ ما يراه الآخرون حقاً بالنسبة لهم . فكانت هذه أول رسالة حجاجية يوجهها لقومه وهي (اقتنعوا بأني لن ولم اقتنع بما تقولونه) ، وقد عضّد رسالته هذه بحجتين أخراهما أقوى من الأولى :

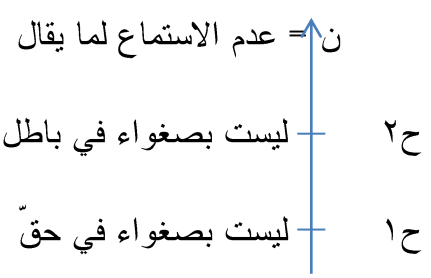

وقد ذكر ديكرو أن هذه الترتيب السلّمي للحجج من مقتضيات إظهار الوظيفة الأولية للغة وهي الوظيفة الحجاجية ؛ إذ إنه يساعد على تفاضل الأقوال وتمايز نجاعتها في استمالة المتقبِّل وضمان اقتناعه وتسليمه (الناجح، ٢٠١١، ص١٢٩)(Al-Najih, 2011:129) .

ويبدو لنا ترتيب سلمي آخر في قوله عليه السلام :

ولمّا رأيتُ القَومَ لا ودَّ عندهمْ وقد قَطَّعُوا كُلَّ العُرَى والوَسائلِ

وقد صارَحُونا بالعَداوَةِ والأَذَى وقد طاوَعُوا أَمْرَ العَدُوِّ المُزايلِ

وَقَدْ حالَفُوا قَوماً عَلينا أَظِنَّةً يَعَضُّونَ غَيظاً خَلْفَنا بالأَنَاملِ

إذ تشتمل هذه الأبيات على مجموعة من الأقوال التي شكّلت حجة لما سيأتي بعدها في القصيدة من أقوال ، فهذه الحجج هي بمنزلة الأسباب التي دعت إلى نظم هذه الأبيات ، وذلك بعدما يئس أبو طالب عليه السلام من تصديق القوم ، وبعدما تيقن من كونهم مجمعين على إيذاء ابن أخيه صلى الله عليه وآله وسلم وهذه الأقوال كلها تفضي إلى نتيجة من قبيل : (رفضهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولما جاء به) .

ابتدأت علامات رفض قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم – بوصفه مرسَلاً من الله عزّ وجلّ– بانعدام الودّ كمرحلة أولى ، لتنتقل إلى قطيعة الرحم ؛ وهي مرحلة متقدمة على الحب ، ثم مصارحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأتباعه بالعداوة الواضحة ، والمصارحة هنا بمعنى المكاشفة ، ليؤدي ذلك بداهةً إلى مطاوعة العدو المفارق المباين لهم المخالف فيهم ، ثم تقوى الحجة إلى محالفة كل من يتّهم النبي ويكيد له ويعضّ أصابعه غيظاً وحقداً عليه .

ولو أنعمنا في الأبيات المذكورة ، لوجدنا النهج السّلّميّ بيّناً ، إذ ابتدأ الشاعر حجاجه بحجة هي الأضعف قياساً لما يليها ؛ فقد أدرج حجة عدم الودّ (وهو الحبّ الكثير) من قبل قريش للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه ليفتتح بها حججاً أقوى ، فيشدّ ذهن المتقبِّل ويجعله في حال من الترقّب ، ليسوق لنا حجة أقوى من الأولى وهي (القطيعة) ؛ فهي مرحلة تالية للجفاء وانعدام الحب ، وهي أقوى من سابقتها ؛ فالقطيعة مؤشر له أبعاد تتجاوز

مشاعر الحب ؛ إذ يترتب على نفيها نفي العهود والمواثيق والأرحام ، وكل ما يستمسك به ويستوثق ويجب مراعاته من أسباب الترابط بين اثنين او فئتين (القرشي، ١٣٩٤، ص٢٥)(1394:25, Al-Qurashi).

فكثير من الناس يصل رحمه وهو غير محب لمن يصله ، فصلة الأرحام لا تعني الحب والودّ دائمًا، وإنما هي عرف مجتمعي ومظهر من مظاهر تقاليد المجتمعات سواء في الجاهلية أم في الاسلام، هذا إذا غضضنا الطرف عن كونها واجبًا في الأديان السماوية جمعاء ، يقول تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾ (محمد: ٢٢، ٢٣) . وكذلك الوفاء بالعهود والمواثيق ، فهي التزام تربوي وإنساني بصرف النظر عن العرق أو الدين . والقرآن الكريم يؤكد على هذه المسألة يجعل لها حيزاً في مبادئ الانسان ، فإن تجاوزها خسر الكثير مما لا يمكن أن يعوض ، يقول تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (البقرة : ٢٦، ٢٧) ، فكون قريش قد قطعت كل هذه الروابط ، فهذا يعني الكثير ، ويتجاوز خانة العواطف إلى خانة المبادئ الإنسانية التي جبلت عليها الطبيعة البشرية بالفطرة .

ثم يأتي الشاعر بحجة ثالثة أقوى من الحجتين الأوليين ، وهي المصارحة بالعداوة والجهر بالأذى ، وهي مرحلة تأتي بعد القطيعة ، وهذا ما فعله وجهاء قريش أعمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما جهر بالدعوة . ثم يأتي الشاعر بحجة أقوى من سابقتها ونتيجة لها إذ موافقة العدو المفارق المباين ، ومطاوعته نتيجة طبيعية للعداء والكره ولو بعد حين : " وإنما يكون العدوُّ مفارقاً إذا صرَّح بالعداوة فلا تمكِن العشرة " (البغدادي، ١٩٩٧، ج٢، ص٦٠)(1997,v2:60 Al-Baghdadi) . وهذا ما جرى مع ابني آدم عليه السلام عندما قطع ودّهم الشيطان ، وجعل محله الحسد والكره ، وطاوع قابيل الشيطان العدو فقتل أخاه هابيل ﴿ فطوَّعَتْ لَهُ نفسُهُ قَتْلَ أخِيْه﴾ (المائدة : ٣٠) .

ويعطف أبو طالب كيما يقنع المتقبِّل بموقف القوم الرافض للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بحجة أقوى من سابقاتها ؛ فلم يكتف القوم بالجهر بالعداوة والخصومة وموافقة كل من

يعادي النبي جهراً ، بل (حالفوا) كل من يتّهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يطمئن لذكره ، ويعضّ على يديه سراً عداوة له وحسداً ، ولعلّ الإشارة هنا إلى المنافقين من الناس الذين لا يصرّحون بكفرهم وكرههم ، وهم أشد خطراً من الكافرين ؛ بوصفهم عدواً لا يواجه (القرشي، ١٣٩٤، ص٢٥))(Al-Qurashi, 1394:25) . فهم قد تجاوزوا مرحلة الكفر إلى مرحلة هي أشد وأعتى يقول تعالى في سورة (المنافقون : ٣) : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُم آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِم ﴾ ثم يقول تعالى : ﴿ هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُم ﴾ (المنافقون: ٤) . ويمكن بيان تلك السّلمية الحججية بالترسيمة الآتية :

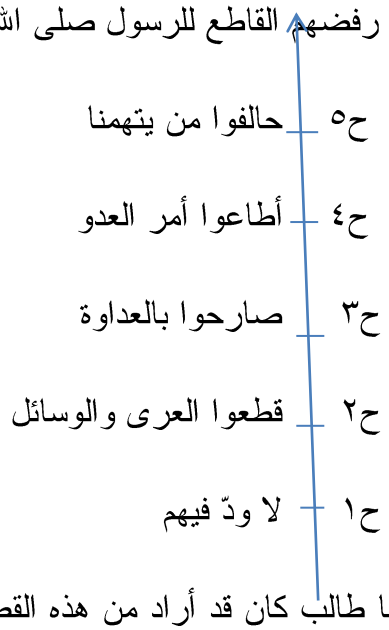

وحري بالذكر أن أبا طالب كان قد أراد من هذه القصيدة غايتين (الأنصاري، ج١، ص٢٧٢) :

الأولى: الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته ، وبيان موقفه المؤيد له .

الثانية: استعطاف قريش والتودّد لهم . يقول ابن هشام في سيرته (ت ٢١٨ هـ) : " فلما خشي أبو طالب دَهْمَاءَ العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التي تعوّذ فيها بحُرَم مكة وبمكانه منها ، وتودّد فيها أشرافَ قومه ، وهو على ذلك يخبرهم وغيرَهم في ذلك من شعره أنه غير مُسلم رسولَ الله صلى الله عليه (وآله) وسلم ، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه " (الأنصاري، ١٩٨٦، ج١، ص٢٧٢). وقد وظّف أبو طالب في ذلك حنكته السياسية في مداراة الأمور وحلحلتها بصورة مرضية للآخر ، وسحب البساط من تحته بهدوء وروية من

غير إثارة حفيظته أو استفزازه ، وهذا ما فعله عندما نظم هذه القصيدة ؛ فهي تنبئ عن قوة موقفه وإصراره على الدفاع عن النبي من جهة ، واستعطاف القوم ليكفوا أيديهم وبطشهم ؛ إذ تعوّذ بحُرم مكة ومكانه منها ، فوّظف أبو طالب ما يمتلكه من إمكانات سياسية وشعرية ليجبر المتقبّل على لإيمان بالخطاب الموجه ، أو التعديل في عقيدته على أقلّ تقدير ، من خلال الجذب الحججي العاطفي ، حينما افتتح قصيدته بلوحة تظهر تخلي الأقربين عنه لمجرد مخالفتهم . وهو بهذا " يجلو قدرة اللغة على استقطار رحيق اللحظة السياسية ثم إسالته كغطاء مسوّغ للواقع ، وكثيراً ما تساهم اللغة بجمال عبارتها في تلطيف نتوءات السياسة أو في امتصاص الشحنة الانفعالية التي يستنفرها الواقع المهتز " (المسدّي،٢٠٠٧، ص١١٤)(Al-Masdi, 2007:114) .

ثانياً : الأدوات الحجاجية :

إن توجيه الكلام ليؤدي وظيفة حجاجية يعتمد على البنية الداخلية للغة، وأنّ هنالك كلمات داخل اللغة تسهم في تحديد معناها الجملي بعيداً عن أي استعانات خارج لغوية ، هذه الكلمات هي ما يطلق عليه (الأدوات الحجاجية) التي هي عبارة عن موسومات من داخل اللغة تسهم في توجيه القول وجهة حجاجية ما ، فضلاً عن وظيفتها في ربط الحجج بالنتائج (لحسن،٢٠١٤،ص٨٥-٨٦)(Al-Hasan, 2014:85-86) " وهذا ما دفع ديكرو O.Ducrotللتفكير في وضع مقاربة حجاجية لسانية تهدف إلى وصف هذه الروابط اللغوية في سياقها التداولي بعيداً عن وصفها النحوي التقليدي " (حمداوي، ٢٠١٤، ص٣٨-٣٩)(Hamdaoui, 2014:38-39) .

إن الحجاج اللغوي الإقناعي يخضع لقواعد اللغة ونظامها الداخلي ، وبذلك فهو يتمكن من تقديم الحجج واستنباطها من خلال الأدوات الحجاجية ، ويحصل بذلك الإقناع الذي يستخلص إما من المعطى الظاهري للخطاب أو من المعطى الاحتمالي الاقتضائي لذلك الخطاب ، فالإقناع موجود في اللغة متجذر فيها ، وإنما توجهه بعض الوسائل والعلاقات التي من بينها الأدوات الحجاجية (الرقبي،٢٠١١،ص١٠١)(Al-Raqabi, 2011:101) . والأدوات الحجاجية على قسمين: روابط حجاجية وعوامل حجاجية .

١– **الروابط الحجاجية:** وتربط بين حجتين أو أكثر ، وتسند لكل حجة منهما وظيفةً حجاجيةً معينةً حسب السياق التداولي ، ومما ورد من هذه الروابط :

١– أ : روابط التعارض الحجاجي:

(لكن) عينةً: وهي حرف استدراك ، ومعنى الاستدراك " أن تنسب حكماً لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها ، كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر ، خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك فتداركت بخبره إن سلباً وإن إيجاباً " (المرادي، ١٩٧٦، ص٥٥٥)–Al) ,1976:555 Muradi) . فهي من أدوات التعارض الحجاجي ، ومن الأدوات التي تدرج حججاً تتّسم بالقوة والإفحام (العزاوي، ٢٠٠٦، ص ٣٠)(Al–Azzawi , 2006:30) ، لنلحظ هذه الأبيات :

فما أدركوا ذَحْلاً ولا سفَكوا دماً ولا حالفوا إلا شِرارَ القبائلِ

بنِي أمةٍ مجنونةٍ هِنْدِكيَّة بني جُمح عُبَيد قيس بن عاقلِ

ولكِنَنا نَسلٌ كِرامٌ لِسادَةٍ بِهم نَعتلي الأقوامُ عندِ التَّطاوُلِ

يقول ديبورا شيفرن : " بالرغم من أنّ لكن هي من أدوات تنسيق الخطاب ، إلا إنّ لها وظيفة تداولية مختلفة ، وهو أنها تجعل للوحدة التي تليها فعلاً مضاداً ؛ ولأن هذا الدور مؤسس على معناها المضادّ ، فإنّ مدى استعمالها الذهنيّ أضيق من مدى الواو .. إذ لا تنسق لكن بين الوحدات الوظيفية إلا إذا كان هناك بعض من العلاقات المتضادة في محتواها الذهني أو التفاعلي " (الشهري، ٢٠١٣، ص٢٥٥) (Al–Shehri 2013:255)

ففي خطاب الشاعر: (فما أدركوا ذَحْلاً ولا سفَكوا دماً ولا حالفوا إلا شِرارَ القبائلِ) تتجلى حجة تصبّ في نتيجة من قبيل : جبن هؤلاء القوم – واصفاً بعض العرب – ، وفي خطابه : (بنِي أمةٍ مجنونةٍ هِنْدِكيَّة بني جُمح عُبَيد قيس بن عاقلِ) حجة خطابية أخرى نتيجتها مضمرة أيضاً مفادها : أن هؤلاء القوم ليسوا من العرب الأقحاح . وهاتان الحجتان تخدمان نتيجة مفترضة من قبيل : (ليس لهم شأن بين العرب يفتخر به) . وهي نتيجة مقصاة قياساً للنتيجة التي جاءت بها الحجج التي تلت الرابط (لكن) ؛ فنتيجة الحكم الخطابي لا تشمل كلّ العرب أو من يدّعون العربية ؛ فما جاء بعد الرابط (لكن) ينفي تماماً ما سبقها ، ليكون بمنزلة

الفعل الإنجازي الذي يراد منه تثبيت ما يتوهم نفيه ، والتسبّب في نشوء آثار الشعور بـــالفخر والاعتزاز بأصل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وانتمائه لدى المتقبِّل ، وتقوية الاعتقـــاد بذلك والعمل على تعديل الموقف الأول الذي تم إيصاله إلى ذهن المتقبِّل وأنه لا يشمل قريش من العرب ؛ ففي البيت الأخير نجد الفعل الكلامي (نَسلٌ كِرامٌ لِسادَةٍ) الذي يتلو (لكن) حجة تصب في نتيجة مضمرة مفادها : نقاء الأصل ، و الفعل الكلامي (بِهم نَعتلي الأقـــوامُ عنـــدِ التَّطاوُلِ) حجة أخرى تصب في نتيجة مضمرة أخرى مفادها : شجاعتهم ، وهاتان الحجّتان التراتبيتان هما شهادة لفعل إنجازي يراد منه تثبيت القناعة – لدى المتقبِّل – بنتيجة : (لقريش شأن يفتخر به) ؛ وهي نتيجة مقتضاة وتناقض النتيجة السابقة للرابط (لكن) وتفوقها قوة في الآن نفسه ؛ " فكلّ خطاب تال لها هو الحجة الأقوى صوب الدعوى التي يدّعيها المخاطِب ... وهذا ما يجعل الاستدراك سبيلاً إلى منح الحجة التي تأتي بعدها قوّة اكبر " (الشهري، ٢٠١٣، ص٢٥٣)Al-Shehri 2013:253) . ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي :

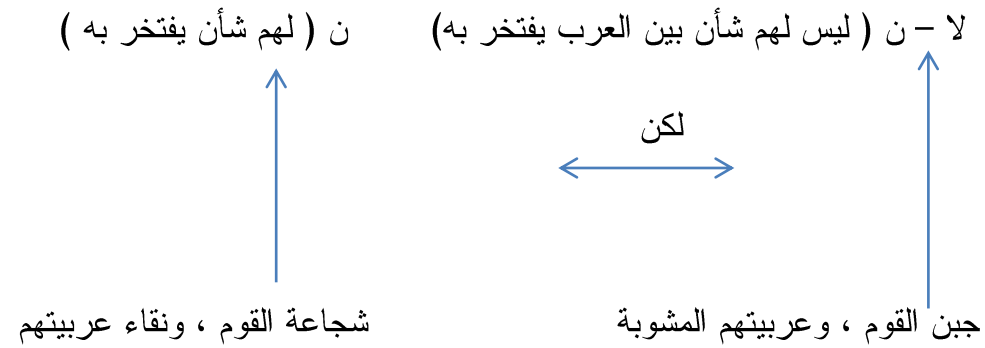

فالرابط (لكن) ربط بين حجتين لا تؤديان إلى النتيجة نفسها ؛ لأن سلّمهما ليس واحداً تبعاً لاختلاف الفئة أو القسم الحجاجي ؛ إذ تنتمي (لكن) إلى ذلك الضرب من الملافيظ الحجاجيـــة التي لا تتطابق فيها نتيجة الحجة التي قبلها مع الحجة التي بعدها لاختلاف الفئـــة او القســـم الحجاجي لكلا الحجتين ، ومن ثم اختلاف السلم الترتيبي للحجج ، وحينئذ يكون لكـــل حجـــة منهما ؛ السابقة واللاحقة وجهة حجاجية خاصة ، ويكون الرابط (لكن) وما شاكله فاصلاً بين عنصرين متناقضين متنافرتين الجامع بينهما فقط هو ذلك الرابط (الناجح، ٢٠١١،ص١٦٤) (Al-Najih 2011:164,)

وهذا ما يفسّر قول ابن يعيش النحوي : " العطف بلكن فيه إخباران بما قبلها وبما بعدها وهو إيجاب فاعرفه " (النحوي ، ج٨، ص١٠٧)(Al-Nahawy v8:107,) . ويعني بـ"إخباران" اختلاف السلم الحجاجي لاختلاف الفئة أو القسم الحجاجي ، وعدم تطابق النتيجة بين كلا الحجتين ؛ فالحجة الأولى حكمها النفي ، وحكم الثانية الإيجاب . وهذا حاصل في الأفعال التي سبقت الرابط (لكن) وتلته في الأبيات السابقة ؛ فكل منها انعطف بتدرجيّته الحججيّة لينماز بنتيجة مختلفة عن الآخر وتناقضها .

إنّ هذا الضرب من الأدوات الحجاجية الذي يجمع بين حجتين لا تنتميان إلى نفس الفئة أو القسم الحجاجي ، إنما يبرهن على عبقرية اللغة ، وعلى منطق اشتغال للغة مخصوص ؛ إذ تدرس سلّمية اللغة في هذا الضرب بشكل مغاير عمّا هو مألوف في الملافيظ الأخرى التي تحتوي حججاً تنتمي إلى القسم حجاجي عينه (الناجح، ٢٠١١، ص١٦٦)(Al-Najih 2011:166,) .

١- ب : روابط التساوق الحجاجي :

(حتى) عينةً : من روابط التساوق الحجاجي التي من شأنها إدراج حجج قوية تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة تخدم نتيجة واحدة ، كما أن الحجة التي تلي (حتى) تكون أقوى الحجج . وتأتي (حتى) عاطفة أو جارة ، ولا تكون الجارة منها حجاجية إلا بدخول ما بعدها فيما قبلها ، وأما العاطفة فيشترط في معطوفها أمران (العزاوي، ٢٠٠٦، ص٧٢)(Al-Azzawi, 2006:72) :

الأول : أن يكون بعضاً مما قبلها .

الثاني : أن يكون غايةً لما قبلها في زيادة أو نقص ، والمقصود بالزيادة القوة والتعظيم ، والمقصود بالنقص الضعف والتحقير . يقول النحوي (ت ٦٤٣هـ) : " حتى الواجب فيها ان يكون ما يعطف بها جزءاً من المعطوف عليه إما أفضله كقولك مات الناس حتى الأنبياء أو أدونه كقولك قدم الحجيج حتى المشاة " (النحوي ، ج٨، ص٩٦)(Al-Nahawy v8:96,) وهذا يحيلنا إلى مفهوم السلّم الحجاجي ؛ فقول الشاعر :

كَذَبتُم وبيتِ اللهِ نُبزَى محمّداً ولَمَّا نُطاعِنْ دونَهُ ونُناضِلِ

ونُسْلِمهُ حتّى نُصَرَّعَ حَولَهُ وَنَذهَلَ عن أبنائِنا والحَلائِلِ

نجد فيه أنّ الرابط حتى يسوق لنا جملة من الحجج السُّلّميّة (نطاعن ، نناضل ، نُصرَّع) وهي تخدم نتيجة من قبيل : (نذبّ عنه ولا نسلمه لعدوه) ولكن الحجة التي وردت بعد الرابط (نصرَّع) أقوى من الحجتين السابقتين له ؛ على الرغم من أنها بعض مما قبلها ، إلا أنها غاية لما قبلها في زيادة ؛ فصحيح أنّ كل تلك الأفعال المذكورة إنما هي جود وكرم ، ولكن بذل النفس أقصى غاية الجود ! .

إذن؛ فالرابط "حتى" في الملفوظ يساعد على تقوية إيقان المتقبّل بالنتيجة ، بل إنه يرسم له صورة الطريق الذي ينبغي عليه أن يقطعه كيما يصل للنتيجة وهو في أثناء ذلك يقوي النتيجة التي يروم الملفوظ إيصالها (الناجح، ٢٠١١، ص١٣٤)(Al-Najih, 2011:134) لتكون الأقوى من بين قريناتها الشريكات في السلّم الحجاجي .

فخاصية الرابط "حتى" أنّه وفّر تقوية للحجة حتى جعلها غير متساوية قوة وضعفاً وإقناعاً وتأثيراً ومن ثمّ كان هو المحرك للعلائق الحجاجية داخل الملفوظ في ذاته حتى ينزل الملفوظ في درجته الحقيقية من السلّم الحجاجي فيكون أقرب تحقيقاً للنتيجة والمفهوم (الناجح، ٢٠١١، ص١٣٣-١٣٤)(Al-Najih 2011:133-134,) .

١- ج : روابط العطف الحجاجي :

(**الفاء**) **عينةً** : حرف عطف يخرج للترتيب والتعقيب والسببية ، والغالب فيه خروجه للتعليل والسببية (الأنصاري ،ج١، ص١٦١)(Al-Ansari v1:161,) ومما جاء في اللامية قوله :

يَلوذُ بهِ الهُلاَّكُ مِن آلِ هاشِمٍ فهُم عندَهُ في نِعمةٍ وفَواضِلِ

نلاحظ أن الفاء ربطت بين الحجة والنتيجة ، فما بعد الفاء جاء حجة تفسيرية للنتيجة التي تسبقها ؛ فإنما يلوذ به بنو هاشم – أي بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم – لإكرامه لهم وفضله عليهم ولينه معهم ، وكأن ذلك مصداق لقوله تعالى : ﴿ وَلِو كُنْتَ فَظًّا غَلِيْظَ القَلْبِ

لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران / ١٥٩) . فالفاء في المثال السابق جمعت بين قضيتين غير متباعدتين دلالياً لترتّب أحداثهما بآلية تعليلية من خلال الأفعال المنجزة بالأقوال لتكون سبباً في نشوء آثار الإقناع أو الاقتناع لدى المتقبّل بكرم أخلاق المرسل ولين صفاته : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ ﴾ (القلم / ٤).

ونظيره قوله:

وذاكَ أبو عَمرٍو أبى غيرَ مُغضَبٍ لِيُظعِنَنَا في أَهلِ شاءٍ وجامِلِ

يُناجي بنا في كُلّ مُمْسىً ومُصْبَحٍ فناجِ أَبا عمرِو بنا ثُمّ خاتِلِ

يكشف البيتان عمّن آذى وخالف النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين دعوته للإسلام ، وفيه اشارة واضحة بالتهديد بالحرب عليهم وردّ شرّهم كيلاً بكيل (القرشي، ١٣٩٤، ص٣١) (1394:31, Al-Qurashi) ، وقد وردت الفاء دون الواو أو ثم ؛ لأن الواو تجمع بين قضيتين (حجتين) أو اكثر في آن ، وثم تفيد الترتيب مع التراخي والمهلة بين قضيتين متباعدتين ، أما الفاء فتربط بين الحجة والنتيجة بالترتيب والتعقيب مع عدم التراخي وهي تربط بين قضيتين غير متباعدتين ، فجاءت صالحة في هذا الموضع الذي يقتضي رداً سريعاً من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه على من يناوئهم ويعاديهم لأنهم في مرحلة من الدعوة لا تصلح معها التقية او التسامح عن الحق لئلا يستضعفهم العدو وتوأد بيضة الاسلام قبل اكتمالها . فنجد الفاء قد عمل على الترتيب والتعقيب والاتصال بين الحجة (يناجي بنا ...) وبين النتيجة (فناجِ أبا عمرو ..) تعقيباً مباشراً من غير فاصل (جبار، ٢٠١٧، ص١٤٦-١٤٧)(2017:146-147, Jabbar) كيما يخلق بذهن المتقبّل فعل التأكيد على الدفاع عن الاسلام في هذه المرحلة من عمره ، ويسلّم به .

٢- **العوامل الحجاجية :** لا تربط العوامل الحجاجية بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج كما في الروابط ، بل تتمثّل وظيفتها في حصر الإمكانات الحجاجية لحجة ما وتقييدها ، ومثال تلك العوامل : (ربما ، تقريباً ، كاد ، قليلاً ، كثيراً ، ما ... إلا ، القصر، الاستثناء ، النفي .. وغيرها) (العزاوي، ٢٠٠٦، ص٢٧)(2006:27 , Al-Azzawi) .

إنّ العوامل الحجاجية من وجهة ديكرو وانسكومبر بعض الصرافم أو الألفاظ التي تعمل على إعطاء الجملة توجيهاً حجاجياً أو العمل على تقوية ذلك التوجيه للوصول إلى نتيجة محددة دون غيرها ، إذا علمنا أن الحجاج عندهما – ديكرو وانسكومبر– يقوم بالأساس على التوجيه ؛ فعندما نقول : (السيارة جاهزة) فإن هذا القول إنما هو مقدمة لنتائج محتملة يقتضيها المقام منها : لنخرج للنزهة ، لكن التوجيه لهذا الاستنتاج يكون أقوى إذا ما أدخلنا على الجملة عاملاً حجاجياً مثل "إنما" فنقول : "إنما السيارة جاهزة" (الناجح، ٢٠١١، ص٢٩، ٣٢)(2011:29,32, Al-Najih) .

وقد وردت العوامل الحجاجيّة في القصيدة اللامية بقلة وضيق في الاستعمال لذلك سنقتصر في دراستنا على:

٢- أ: النفي: "لم" عينة":

النفي أحد أهم وسائل الحجاج التي تحقق وظيفة اللغة الحجاجية المتمثلة في إذعان المتقبّل وتسليمه عبر توجيهه بالملفوظ إلى النتيجة ، ومن أدواته (لم ، لا ، لن ، وما ،..) . وقد أشار انسكومبر إلى هذه الإمكانية بقوله : " يوجد في اللغة صرافم ، عوامل حجاجية ، تشدّ الملفوظ وتبدّل / توجّه أقسام النتائج المرتبطة بالجملة في الملفوظ في بدايته " (الناجح، ٢٠١١، ص٤٧)(2011:47, Al-Najih) .

يعرّف النحوي (ت٦٤٣هـ) النفي بأنه إكذاب إذ يقول : " اعلم أنّ النفي إنما يكون على حسب الإيجاب لأنه إكذاب له فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما إلا أنّ احدهما نفي والآخر إيجاب " (النحوي ، ج٨، ص١٠٧)(v8:107, Al-Nahawy) . وفي قوله " فينبغي أن يكون على وفق لفظه لا فرق بينهما " إلزام بتصديق النتيجة والتسليم بها من قبل المتقبّل ؛ وداعي ذلك أن محتوى القضية بلفظها لم يتغيّر إلا بتغير النتيجة جراء سلطة العامل عليها التي تتمثّل بـ"الإكذاب" (الناجح، ٢٠١١، ص٤٨)(2011:48, Al-Najih) .

والحقّ أن بين بين الملفوظين ؛ المثبت والمنفي يوجد فرقان (الناجح، ٢٠١١، ص٤٨) (2011:48, Al-Najih) : الأول : شكلي ويتمثّل بصدارة العامل . والثاني : مضموني ويتمثّل بحصول المفهوم من النفي . يقول أبو طالب عليه السلام :

أَمُطْعِمُ لم أَخذُلْكَ في يومِ نَجدَةٍ ولا عنــدَ تلكَ المُعْظماتِ الجَلائــلِ

ولا يَـــومَ خَصْمٍ إذ أتَوك أَلِــدَّةً أُولي جَدَلٍ مِثلِ الخُصوم المَساجِلِ

لقد جعل ديكروO.Ducrot رائزاً للنفي مفاده (النــاجح، ٢٠١١، ص٤٨) ,2011:48) (Al-Najih : " لماذا قال المتكلم ما قال ؟" فهو بمنزلة المعيار الذي تحدد وفقــاً لــه منزلــة الملفوظ الحجاجي من السلّم ؛ فقول الشاعر " لم أَخذُلْكَ في يومِ نَجدَةٍ " إثباته فــي الأســاس " خذلتُك في يوم نجدة " وهي حقيقة يؤمن بها طرف ما ، وقوله : "لم أَخذُلْكَ في يومِ نَجدَةٍ" عمل لغوي وظيفته نفي تلك الحقيقة وإكذابها وإثبات عكسها وهي سبب القول وغايته .

والشاعر هنا يخاطب " مطعم بن عدي " وهو الذي أجار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما رجع من الطائف ، وكيما يعضّد حجته أكثر عطف على نفيه أفعالاً لغوية أخرى : " ولا عندَ تلكَ المُعْظماتِ الجَلائلِ " و " ولا يَومَ خَصْمٍ إذ أتَوك أَلِدَّةً " بمعنى أننا لم نتخل عنك في نجدة ، أو في حرب ، أو في خصام الأعداء معكم ، مما أعطى النتيجة " إننا لم نتخلّ عنكم وإكــذاب ذلك " قوة ومركزية أكبر وقعاً في أذهان المتقبّلين . فأداة النفي هنا وجّهت الملفوظ الحجاجي وجهة معينة بحيث يمكن معها الوصول بالمتقبّل المتقبِّل إلى حالة من القبول والاقتناع وتجاهل كل النتائج المحتملة التي يمكن أن يستنتجها المتقبِّل في حالة انعدام العامل "لم" ؛ بما منحته "لم" من حصانة حجاجية لنتيجتها بتكذيب سواها. فالنفي توجيه على توجيــه – حســب ديكــرو O.Ducrot – فبمجرد إدماجه في الخطاب تتحدّد النتيجة ولا يجد المتقبّل كدّ ذهن فــي إدراك المفهوم ، فالعامل الحجاجي فضلاً على كونه موجهاً للخطاب ، فهو يصــف البنيــة العميقــة للملفوظ قبل نفيه (الناجح، ٢٠١١، ص٥٠-٥١)(Al-Najih, 2011:51-52) .

٢- ب: القصر: ما ... إلاّ" عينة:

القصر: " تخصيص أمر بأمر بطريق مخصوص. ويقال أيضًا: إثبات الحكم للمذكور ، ونفيه عمّا عداه " (السيوطي، ١٩٨٨، ج٣، ص١٤٩)(Al-Suyuti, 1988:v3:149) . ومن أمثلته القصر بالنفي والاستثناء (ما ... إلا) وهذا وارد في اللامية بموضع واحد إذ يقول :

فما أدركوا ذَحْلاً ولا سَفكوا دماً وما حالفوا إلاَّ شِرارَ القبائلِ

يريد في حديثه القوم المسفّهة أحلامهم بني خلف والغياظل اللذين ذكرهم آنفاً :

لقد سَفِهَتْ أخلاقُ قَوم تَبدَّلوا بَني خَلَفٍ قَيضاً بنا والغَياطِلِ

فهؤلاء القوم لم يدركوا ثأراً لقتيل ولا أقدموا على حرب وجدال لأنهم جبناء، بل جلّ ما فعلوه أنهم تحالفوا مع الأشرار(القرشي، ١٣٩٤، ص٣٣))(1394:33, Al-Qurashi) . فالحاصل هنا أنّه قصر مخالفة القوم على الأشرار دون سواهم ، فوجّه بالنفي والاستثناء فعالية الحجاج نحو نتيجة مضمرة من قبيل : جبن هؤلاء القوم . والشاعر بأسلوبه هـذا قلّـص الإمكانـات الحجاجية للكلام وزاد من قوته الحجاجية في توجيه المتقبِّل نحو النتيجة المضمرة ؛ فقوله : ما حالفوا إلاَّ شِرارَ القبائلِ ، أشدّ وطأً في نفس المتقبِّل وقناعته من قوله : حالفوا شِرارَ القبائلِ ؛ فالقول الأول أقوى في توجيه المتقبّل نحو النتيجة المستوحاة ؛ لأنه حصـر كـل الإمكانـات الممكنة في التوجيه نحو نتيجة الفعل الحجاجي ، بخلاف ما لو رفعنا أداة القصـر ، عنـدها سيكون القول أضعف توجيهاً ، وأكثر احتمالية للاستلزامات والنتائج ، لأنه يجعـل المسـلك الإحتماليّ مفتوحاً ، بخلاف ما لو قصرنا الكلام فإن ذلك سيغلق الباب على تلك الاسـتلزامات ويوحد توجهها الحجاجي لأنه رفع غموضها وحـدّد وجهتهـا (حنـون، ٢٠١٧، ص ١٣٤–١٣٥)(2017:134–135, Hanoun) .

خاتمة البحث

أضحى الحجاج من أهم المقولات التي يتوسّل بها لاستنطاق النصوص والخروج منها بخلاصات متعددة ، فهو ممارسة لفظية عقلية اجتماعية ، الهدف منها الكشف عن مقبولية الموقف بصياغات معينة لمجموعة تراكمية من القضايا التي قد تثبّت تلك المقبولية أو تنفيها ، وهو بذا يُنظر إليه ضمن عملية التواصل الإنساني في إطارها الكليّ [١] . فالحجاج محاولة التأثير في المتقبِّل بواسطة اللغة أي اللغة الطبيعية بصرف النظر عن جنسها ، فالباثّ يرسل رسالته لأجل إحداث تغيير أو تثبيت رأي للمتلقي المتقبِّل ، ولا فرق بين أن تكون هذه الرسالة من جنس الشعر أو النثر ؛ فكلاهما ينتميان للغة الطبيعية .

إن أبا طالب عليه السلام في لاميته حاول أن يدمج العنصر الحجاجي في أسلوبيته الشعرية ليمس العاطفة أولاً، والعقل الذي يوصل إلى الإقناع في آن ثانياً ، فالغرض من قصيدته استعطاف القوم – وهذا هو موضع العاطفة من القصيدة – من ناحية ، وإثبات إصراره على الدفاع عن ابن أخيه صلى الله عليه وآله وسلم وصحة دعواه وإن مؤيّد من الخالق عزّ وجل – وهو موقف قوة يخاطب فيه العقل بالشاهد والدليل – من ناحية أخرى .

وبالعموم ، فإن القصيدة انعكاسات للحجاج تبلورت في بطون الأبيات ، حاولنا بيان ما تيسّر بيانُ منها من خلال آلية السلّم الحجاجي ، والأدوات الحجاجية بقسميها : الروابط مثل : لكن ، وحتى ، و الفاء . والعوامل مثل : النفي متمثلاً بـ"لم" ، والقصر متمثلاً بالأداة " ما... إلا " . وما لوحظ على الأدوات الحجاجية قلة استخدام الشاعر لها ، فكانت أغلب حجاجه الشعراً منجزاً بأفعال كلامية تخلو من الأدوات الحجاجية فاعتمد على روافد حجاجية تداولية مدمجة مستقاة من أساليب العربية وفنونها . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

[١] – ينظر : آليات الحجاج وأدواته ، بحث ضمن : الحجاج مفهومه ومجالاته : ١ / ٢١٧ .

المصادر باللغة العربية.

- الأميني، عبد الحسين أحمد.(١٩٦٧). الغدير في الكتاب والسنة والأدب. ط٣. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان.
- الأنصاري، ابن هشام. (١٩٨٦). السيرة النبوية لابن هشام . دار الفكر. بيروت- بغداد.
- الأنصاري، ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب .مطبعة المدني. لقاهرة .
- البغدادي، عبد القادر بن عمر. (١٩٩٧). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط٤. مكتبة الخانجي. القاهرة.
- التونجي، محمد . (١٩٩٤). ديوان أبي طالب عمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ط١. دار الكتاب العربي. بيروت.
- جبار، رائد مجيد، (٢٠١٧)، رسائل الامام علي في نهج البلاغة دراسة حجاجية .ط١. مؤسسة علوم نهج البلاغة. العتبة الحسينية المقدسة. كربلاء. العراق.
- الجمحي، ابن سلام. طبقات فحول الشعراء. دار المدني. جدة.
- الحسيني، السيد أحمد. (١٣٩٤هـ). "لامية شيخ البطحاء لأبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي وشرحها". فصلنامه تخصصي مطالعات قرآن: ١٣ (٤٩): ٢١- ٣٩.
- حمداوي، جميل. (٢٠١٤). من الحجاج إلى البلاغة الجديدة. أفريقيا الشرق. المغرب.
- حنون، عايد جدوع. (٢٠١٧). الحجاج في كلام الإمام الحسين عليه السلام (ط١). مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية . النجف. العراق.
- الخنيزي، عبد الله الشيخ علي (١٤٢٥هـ). أبو طالب عليه السلام مؤمن قريش دراسة وتحليل . دار الغدير. قم .
- الدريدي، سامية .(٢٠١١). الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه . ط٢.عالم الكتب الحديث. إربد .الأردن.
- الرقبي، رضوان. (٢٠١١). "الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله". عالم الفكر: ٤٠(١): ٦٧-١١٧.
- السيوطي، جلال الدين. (١٩٨٨).الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية. بيروت.

- الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (٢٠٠٤). استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية.ط١. دار الكتاب الجديد المتحدة . لبنان .
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر. (٢٠١٣). "آليات الحجاج وأدواته". ضمن كتاب " الحجاج مفهومه ومجالاته " . ط١. ابن النديم للنشر والتوزيع – الجزائر. دار الروافد الثقافية – ناشرون . بيروت.
- صبحي، أميمة. (٢٠١٥). حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي ط١. دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع . عمان.
- الطبسي النجفي، الشيخ محمد رضا. (١٤٢٨هـ). منية الراغب في إيمان أبي طالب. مؤسسة بوستان.
- عبد الرحمن، طه. (١٩٩٨). اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ط١. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء.
- العبدي، أبو هفان. ديوان شيخ الأباطح أبي طالب عليه السلام . مكتبة نينوى الحديثة. طهران.
- العزاوي، أبو بكر. (٢٠٠٦).اللغة والحجاج. ط١. العمدة في الطبع. الدار البيضاء.
- القرطاجني، حازم. (١٩٨٦). منهاج البلغاء وسراج الأدباء.ط٣. دار الغرب الإسلامي. بيروت.
- لحسن، توبي. (٢٠١٤). الحجاج والمواطنة ط١. رؤية للنشر والتوزيع . القاهرة.
- المدني ، محمد بن رسول الحسيني البرزنجي . (٢٠١٧). بغية الطالب لإيمان أبي طالب . ط١. مؤسسة علوم نهج البلاغة . كربلاء المقدسة. العراق.
- المرادي، حسن بن قاسم. (١٩٧٦) .الجنى الداني في حروف المعاني. تحقيق: طه محسن. مؤسسة الكتب للطباعة والنشر. جامعة الموصل.
- المسدّي، عبد السلام. (٢٠٠٧). السياسة وسلطة اللغة . ط١.الدار المصرية اللبنانية. القاهرة.
- الناجح، عز الدين. (٢٠١١). العوامل الحجاجية في اللغة العربية.ط١. مكتبة علاء الدين. صفاقس.
- النحوي، ابن يعيش. شرح المفصل.عالم الكتب. بيروت، مكتبة المتنبي. القاهرة .

- النقدي، جعفر بن محمد. (١٩٩٣). مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب عليه السلام .ط٢. شركة الكتبي للطباعة والنشر. بيروت. لبنان.
- الولي، محمد. (٢٠١٣). "الحجاج مدخل نظري تاريخي". ضمن كتاب " الحجاج مفهومه ومجالاته " ط١. ابن النديم للنشر والتوزيع – الجزائر. دار الروافد الثقافية – ناشرون – بيروت .

References

1. Abdul Rahman, Taha. (1998). Tongue, Balance, or Mental Propagation, 1st edition. Arab Cultural Center. Casablanca.
2. Al-Abdi, Abu Hafan. Diwan of Sheikh Al-Abatih, Abu Talib, peace be upon him. Modern Nineveh Library. Tehran.
3. Al-Amini, Abd al-Hussein Ahmad. (1967). Ghadir in the book (Quran), Sunnah and literature. 3rd edition. Arab Book House. Beirut. Lebanon.
4. Al-Ansari, Ibn Hisham. (1986). The prophetic biography of Ibn Hisham. House of thought. Beirut - Baghdad.
5. Al-Ansari, Ibn Hisham. Al-Mghni Al-Labib on the books of Arabism. Al-Madani Press, Cairo.
6. Al-Azzawi, Abu Bakr. (2006). Language and Argument. 1st edition. AlOmdah fi AlTabu. Casablanca.
7. Al-Baghdadi, Abdul Qadir bin Omar. (1997). Treasury of literature and the core of the mind of the tongue of Arabs. Investigation: Abdul Salam Muhammad Harun. 4th edition. Al-Khanji Library. Cairo.
8. Al-Dridi, Samia. (2011). Arguments in Arabic poetry, its structure and methods. 2nd edition the modern world of books. Irbid, Jordan.
9. Al-Hasan, Toby. (2014). Argument and citizenship, 1st edition. Ru'yah for publication and distribution. Cairo.
10. Al-Hussaini, AlSayyid Ahmed. (1394 AH). The Lamiyah of Sheikh Al-Batha of Abu Talib bin Abdul Muttalib Al-Hashemi Al-Qurashi and its explanation. Fasilnamah takhasusi Mutalaat Qur'an: 13 (49): 21-39.
11. Al-Jamihi, Ibn Salam. Layers of elite poets. Civil House. Jaddah.
12. Al-Khunaizi, Abdullah Sheikh Ali (1925). Abu Talib, peace be upon him, a believer of Quraysh study and analysis. Dar Al-Ghadeer. Qum.

13. Al-Madani, Muhammad bin Rasool Al-Hussaini Al-Barzanji. (2017). Bughyat Al-Talib about the belief of Abi Talib. 1st edition. Nahj Al-Balaghah Sciences Foundation. Holy Karbala. Iraq.

14. Al-Masdi, Abd al-Salam. (2007). Politics and language authority. The Egyptian Lebanese House. Cairo.

15. Al-Muradi, Hasan bin Qasim. (1976). The near fruit in the letters of meanings. Investigation: Taha Mohsen. Books Establishment for Printing and Publishing. University of Al Mosul.

16. Al-Nahawy, bin Ya'esh. The explanation of Al-Mufassal. The world of books. Beirut, Al-Mutanabi Library. Cairo.

17. Al-Najih, Izz al-Din. (2011). Argumentative factors in the Arabic language. 1st edition. Aladdin's library. Sfax.

18. Al-Naqdi, Ja`far bin Muhammad. (1993). The gifts of the donor in the virtues of the father of the Commander of the Faithful, Abi Talib, peace be upon him. 2nd edition. Al-Ketbi Printing and Publishing Company. Beirut. Lebanon.

19. Al-Raqabi, Radwan. (2011). "Argumentative deliberative inference and its operating mechanisms". The World of Thought: 40 (1): 67-117.

20. Al-Shehri, Abd al-Hadi bin Thafer. (2004). Discourse strategies a linguistic deliberative approach. 1st edition. United New Book House. Lebanon.

21. Al-Shehri, Abd al-Hadi bin Thafer. (2013). Argument Mechanisms and Tools. Within the book "Argument its term and its fields.". 1st edition. Ibn Al-Nadim Publishing and Distribution - Algeria. Dar Al-Rawafed Cultural Center - Publishers. Beirut.

22. Al-Suyuti, Jalaluddin. (1988). Proficiency in Quranic sciences. Investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. Modern library. Beirut.

23. Al-Tabasi al-Najafi, Sheikh Muhammad Ridha. (1428 AH). Moniat Al-Raghib about belief of Abu Talib. Bostan Foundation.

24. Al-Tunji, Muhammad. (1994). Diwan Abi Talib, uncle of the Prophet, peace and blessings be upon him and his family. 1st edition. Arab Book House. Beirut.

25. Al-Wali, Muhammad. (2013). "Argument, a historical theoretical entrance." Within the book "Argument, its Concept and fields", 1st edition. Ibn Al-Nadim Publishing and Distribution - Algeria. Dar Al-Rawafid Cultural Center - Publishers - Beirut.

26. Carthagi, hazim. (1986). Minhaj Al-Bulaghaa wa Siraj Al-Udabaa, 3rd edition. Islamic West House. Beirut.
27. Hamdaoui, Jameel. (2014). From Argument to new rhetoric. East Africa. Morocco.
28. Hanoun, Ayed Jadoua. (2017). Arguments in the speech of Imam Hussein, peace be upon him (1st edition). Warth Al-Anbiya Institution for Specialized Studies in Al-Nahdha Al-Husseinia. Najaf. Iraq.
29. Jabbar, Raed Majeed, (2017), The Messages of Imam Ali in the Approach of Rhetoric "Nahj AlBalagha": argumentative Study. 1st edition . Nahj AlBalagha Sciences Foundation. The holy Husseinian threshold. Karbala. Iraq.
30. Sobhi, Omaima. (2015). Speech Argumentation in Al-Tawhidi's Ibdaat, 1st edition. Dar Konooz Al Marefa for Publishing and Distribution. Amman.